جاره فتدانت ولا تداني المحبين وتعانقت ولا عناق العاشقين يلوح من خلالها شقايق
من شابه اشتقاق الهوا العليل فشابه شفتي غادتين دنتا للتقبيل وربما اشتبه على النحرير
باسلا فالجمود وقد ابتابه رشاش القطر ويربك نهارا بهرنا ضره فيرتاح اليه ناظره كانه
صبوح من العسجد ونا نير من الابرين ينعقد ويتخلل ذلك الاقحوان تخاله ثغر المعشوق اذا
عض ناسنوح فلله درها من نزهة رائق ولون وامق وجملة امرها انها انموذج الجنة بلا مين
فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين قد اشتملت عليها المكارم وارجحت في ارجائها الخيرات
الفايضة للعالم وكم فيها من حبر افتخر به ومن امام يوجب حياة الاسلام بسيرة اثار علومهم
على طبقاتنا الدهر مكتوبة وفضائلهم في محاسن الدنيا والدين محسوبة والى كل قطر مجلوبه
فامن منهن علم وفيه راى الا ومن سر فيهم مطلعه ولا من تعزيه فضل الا وعنادهم معينه
والبهم منزعة وما نشأ من كرم اخلاق بلد اختلاف الا وجدته فيهم ولا عواق من طيب
اعراق الا اجتنيته من معادنهم اطفالهم رجال وشبانهم ابطال ومشايخهم ابدال شواهد
مناقبهم باهرة ودلايل مجدهم ظاهرة ومن العجب العجاب ان سلطانهم المالك هان عليه ترك
الممالك وكان لينفسه المهالك فلا فانت في المهالك واجفل اجفال الرال وطفق اذا راى غير
شي ظنه رجل بل رجالا كم تركوا من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ونعمة كانوا فيها
لكنه عز وجل لم يورثها قوما اخرين تنزيها لها ولذلك الابرار عن مقام المجرمين بل ابتلاهم
فوجدهم شاكرين وبلاهم فالقاهم صابرين والحقهم بالشهداء الابرار ورفعهم الى
درجات المصطفين الاخيار وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فجاس خلال تلك الديار اهل الكفر والالحاد وتحكم في
تلك الاسارى اولو الزيغ والعناد فاصبحت تلك القصور كالممحى من السطور وامست
تلك الاوطان ماوى للاصداء والغربان تتجاوب في نواحيها البوم وتتناوح في ارجائها
الريح السموم يستوحش الانيس ويرثي لمصابها ابليس

كان لم يكن فيها اوانس كالدمى ... واقيال ملك في بسالتهم اسد
ومن حاتم في جوده وابن مامة ... ومن احنف ان عدّ حلم ومن سعد
تداعى بهم صرف الزمان فاصبحوا ... لنا عبرة ترثي الحسا ولمن بعد

فانا لله وانا اليه راجعون من حادثة تقصم الظهر وتهدم العمر وتفت في العضد و
توهي الجلد وتضاعف الكمد ويشيب الوليد وتحت لنا الجليد وتسود القلب ثم هل
اللت فحينئذ تقهقر الملوك على عقبيه ناكسا ومن الاوبة الى حيث يستقر فيه النفس
الامن ايسا بقلب واجب ودمع ساكب ولب عازب وحلم غايب وتوسل وما كاد يصل
حتى استقر بالموصل بعد مقاساة اخطار وابتلاء واضطرار وتمحيص للاوزار و
اشرف عن مرة على البوار والتبار لانه مرّ بين سيوف مسلولة وعساكر مغلولة ونظاه
عقود محلولة ودماء مسفوكة مطلولة وكان شعاره كلما علا فتنا او قطع سببا لقد
لقينا من سفرنا هذا نصبا فالحمد لله الذي اقدرنا على الحمد واولانا نعما تفوت الحصر
والعد وجملة الامر انه لولا فسحة في الاجل لعز ان يقال سلم الباكي او وصل

ساكسبه ملاذا او اموت بسلوة ... يقل بها فيض الدموع على قبر

فاستطى غارب الامل الى الغربة وادركه كما نطوا فمع كل صحبه قاطع الاغوار والانجاد
حتى بلغ البيدا وكاد فلم يحمله دهره الحرون ولا درّ له زمانه المفتون

ان الليالي والايام لو سئلت ... عن عيب نفسها لم تكتم الخبرا

فكانه في جفن الدهر قذى ... وفي حلقه شجى يدافعه بنيل الامنيه حتى اسلمه
الى ربقة المنية ... لا يستقر بارض ولا يسير الى ... اخرى بشخص قريب عزمه ناي
يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالـ ... عذيب يوما ويوما بالخليصاء
وتارة ينتحي نجدا وآونة ... شعب الحزون وحينا قصر تيماء

وهيهات مع حرفة الادب بلوغ وطر وادراك ارب ومع عبوس الحظ ابتسام الدهر الفظ
ولما ازعج الزمان في تشريده حتى رضيت من الغنيمة بالاياب والحمول ذلك برافع
الايام ويرجيها ويحلل المحنة متلقيا بالقناعة ذا العقاف مستقلا بالنزاهة والكفاف
عن رياض بذلك السمو ولكن مكره اخوك لا بطل مستسلما باخوان قد تناد تقضي خلايقهم وامن
بوايقهم عاشرهم بالالطاف ورضي منهم بالكفاف لا خيرهم يرتجى ولا شرهم يتقى ان
كان لا يرهن اهل ومن وطن تحيث امن من التحق ويامن قد تقدم نفسه ان يستعمل طرفا طرفا
وان يركب طرفا جماحا وان يلتحق ببعض طمع جناحا وان يستقدح زندا واريا او شحاحا

وما ذنبي الزمان فلا ابالي ... هجرت فلا اناد ولا ادور
ولست بقايل ما عشت يوما ... اسار بالخيل امرحل الامير

وكان المقام بمرو الشاهجان المشتهر بهم بنفس السلطان فوجدتها من كتب العلوم والادب
وصحايف اولي الافهام والالباب ما شغله عن الاهل والوطن واذهله عن كل خل صفي وسكن
فظفر منها بضالته المنشودة وبغية نفسه المقصودة فاقبل عليها اقبال النهم الحريص
واقام لها بمقام لا يزمع عنها معه محيص يحل بوتخ في صحايفها ويستمتع بحسن حلقها وخلايقها
لا يزمع عنها معه ومشرح طرفه في طرفها ويتلذذ بمبسوطها وبسيطها فاعتقل المقام بذلك
الجناب الى ان يجاوز الكتاب وانشد

اذا ما الدهر يثنيني بجيش ... طليعته اغتمام واغتراب
سننت عليه من جهتي كمينا ... امير اه الذبالة والكتاب
وبت فضّ من شم الليالي ... عجايب من حقايقها ارتياب
بها احلو همومي مستريحا ... كما جلى هوى مهجة الشراب

الى ان حدث بخراسان ما حدث من الخراب والويل المبين واليباب وكانت لعمري والله
بلادا امونقة الارجاء رايقة الابحادات رياض اريضة واهوية صحيحة مريضة
فان تغنت اطيارها فتمايلت طربا اشجارها وبكت انهارها فضحكت ازهارها وطاب
روح نسيمها فصح مزاج اقليمها ولعمري بتلك الرياض الانيقة والاشجار المهدلة الوريقة
وقد ساقتنا اليها ارداح الجناب زفاف الخمر من السحايب فسقت مروجها مدام الطل
فتبسما على ازهارها حبابا كاللؤلؤ المتخلل فلما رويت من تلك الصبا اسحاره ريحانها النسيم